أوفيليا وردة السماء

نوري الجرّاح

ها أنتِ تذهبين مثلما أتيتِ ، يا أوفيليا
يا شمسيَ المهداةَ للغروب
إثر هدأة البحر وصمتِ العاصفه .
يا زهرتي الزرقاء ،
ها وجهك مثل غيمة تذوب في كأسي
فكيف ألمس الهواء ؟
كيف أرسم ابتسامة ؟
مرتجفٌ
كالربّ في أقصى مدينة كافرة
تريح ساعديها في فراشها الدافىء
وهو هائم ، يعضّ صدره كاللص
كالسماء شجْرة بلا ورود

ـ ٢ ـ

أُحبكِ
أموتُ
من يرسم لي ضحكته
إذا الصباح جاء
واستقبلني الطريقُ ؟
من يقول لي :
كيف الحياة ؟
كيف شغلك ؟
هل جئتني بوردةٍ أخيرةٍ
تفوح كالحادثةِ الغامضةِ
قصيدةٍ ترقص كالعصفور
أو تسبح كالطائرة الملوّنه
ـ وحين ينجلي عن العيون ساحرُ الوسنْ ـ
قصيدة تسقط كالغريبِ ،
كالعبد المدمّى بالسياط .
تذهبينَ
من يريد لي هذا الحادثَ المفاجيء ؟
أنظر
هذا الخيط
هذا الحاجبَ الدقيقَ
هذا المنعطف
يبدأ عند إصبعي
يرسم كائناً :
يذهب خطوتين
يستديرُ
يطلق السماءَ
ينحني
يصفقني كالباب خلف وجهك الشاحب
كالخريفْ

ـ ٣ ـ

الصمت وردة جميلةٌ
تحب القتلَ
تعبد الخطا التي تغيبْ

ـ ٤ ـ

لا أغفر الحب الذي يجيء باكراً
لك الطريق ،
يا أختُ .
لكِ السماء والجهات والفصول والحمقى
وأنواع اللصوصْ .
لكِ اتحاد وجهك الجميل بالعتم
بما شئتِ
يا « زهرة البترول » منذ الآن .
لا أغفر هذا الحب
يرسم الطريقُ عشر قامات مدمّاة تئنّ
يترك الشتاءُ في عيونها النهار بارداً
ولا أغفر للينبوع هذي الحيوات
ميتة يدفقها
لا يسأل النهار عما تشتهيه
أو تموت دونه
لو وهجته الشمسُ
ردّتها إلى الحضيض .

ـ ٥ ـ

ومثلما رسمتك على الوجوه
وافتكرت :
كلهم أنت
ستشرب الوجوه وجهك الشحوب ،
يا أوفيليا

ـ ٦ ـ

هذا الصباح أجمل الأطفال
ـ مرحبا .
يأخذني من معصمي
ويترك المقعد لي
أغمض
أختفي
أضيع في الحديقة البيضاء
ألمح ابتسامة
تبسم لي
تضحك ، تضحك
تغصّ بالضحك
وفجأة
يخطفها النشيج
حين ترسم البنادقُ الدائرة
وتطلق النار على السماء

دمشق